

تفریغ

شرع معارج القبول

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الذَّكُورِ

مُحَمَّدٌ بْنُ هَارِثٍ الْمَدَائِنِيُّ

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

قام بها

فريق التضيقات بموقع ميراث الانبياء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّرَ مَوْقِعُ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُقَدَّمَ لَكُمْ تَسْجِيلًا لِشَرْحِ :

كِتَابِ مَعَارِجِ الْقُبُولِ بِشَرْحِ سُلَمَى الْوُصُولِ

لِلشَّيْخِ: حَافِظُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَمَّادِ

— رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى —

يَشْرَحُهُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكُومُ مُحَمَّدُ بْنُ هَادِيهِ الْمَدْخَلِي

— حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى —

وَالَّذِي أَلْقَاهُ فِي مَسْجِدِ بَدْرِ الْعَتَبِيِّ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ نَسَأَلُ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى — أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْجَمِيعَ .

الدرس الثاني والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين أما بعد:

فمرحبا بطلبة العلم وأهلا وسهلا بهم وصية رسول الله -صلى الله عليه
وسلم- قدموا للعلم لا يريدون شيئا سواه فأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن
يجعلنا جميعا ممن خلصت نيته وصفت سريره وما أراد إلا هذا العلم الذي
يرفع الله به صاحبه في الدنيا والآخرة، وأبشروا فقد صح عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم- كما في حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- أنه -عليه
الصلاة والسلام- بشركم ببشارة عظيمة فقال: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ
فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)) وفي لفظ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ
فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ
الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ)) الحديث.

فأي فخرٍ أعظم من هذا الفخر، وأي فضلٍ أعظم من هذا الفضل،
والله الدنيا كلها لا تساويه فنسأل الله -جل وعلا- أن يسلكنا وإياكم في
هؤلاء الذين بشروا بهذه البشارة.

ويسرنا في هذه الليلة بعد طول انقطاع أولاً في الفصل الأول عن
دروسنا للسبب الذي تعلمونه في اشتغالنا بدروسٍ أخرى نظامية كنا فيها،
وبداية الفصل هذا لاشتغال المحل بالترتيب والإصلاح فيه وهو هذا المسجد
ونستعين بالله -تبارك وتعالى- في العود والمواصلة في دروسنا السابقة ألا
وهي درس الفقه ودرس الاعتقاد ، الاعتقاد في معارج القبول والفقه في منار
السبيل ونضيف إليه إن شاء الله تعالى الورقات في أصول الفقه فنبتدى في
هذه الليلة ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الثانية سنة أربع وثلاثين
وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-.

[المتمن]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين أما بعد:

فقال المصنف - رحمه الله تعالى -: **والثالث الإيذان بكتبه المنزلة على**

رسله المطهرة من الكذب والزور ومن كل باطل ومن كل ما لا يليق بها قال

الله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ

رَبِّهِمْ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 136] **وقال تعالى: ﴿ قُلْ**

آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ [ال عمران: 84] **إلى**

آخر الآية، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] **وقال**

تعالى: ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ مِنَ كِتَابِ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى:

[15] **وقال تعالى:** ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِهِ

تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [التغابن: ٨] **وقال تعالى:** ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ

رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠] **الآيات، وقال تعالى:** ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا

بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]

ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله - عز

وجل - على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين وأنها كلام الله - عز

وجل - لا كلام غيره وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي

أراد فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه

الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري كما قال تعالى: ﴿وَمَا

كَانَ لِيَشِرَّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] **وقال تعالى:** ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ

مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: 143]

﴿يَا مُوسَى إِنَّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: 144]

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ

أَمَرْنَا ﴿الشورى: ٥٢﴾ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿النحل: ٢﴾ ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ ﴿الإسراء: ١٠٦﴾ ومنها ما خطه الله بيده - عز وجل - كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ ﴿الأعراف: ١٤٥﴾

[الشرح]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا هو الركن الثالث من أركان الإيمان الستة سبق معنا:

- الإيمان بالله.
- والإيمان بالملائكة -عليهم السلام-.
- وهذا الآن الإيمان بكتب الله -تبارك وتعالى- المنزلة على رسله -عليهم الصلاة والسلام- أنزلها الله بشري وذكرى ونورا للذين أراد الله لهم الهداية:

✓ بشارة تبشرهم بما عنده لمن آمن به .

✓ وذكرى يتذكر بها الغافل والمعرض عن ربه -تبارك وتعالى-

فيعود إلى شرعه.

✓ ونورًا يهتدى به .

✓ وهداية لمن استهدى بها أو هدى بها، هداية له وهداية لمن دعاه.

وهذه الكتب المنزلة من الله -تبارك وتعالى- يجب على العبد أن يؤمن

بها إيمانًا إجماليًا ، وإيمانًا تفصيليًا.

◀ أما الإيمان الإجمالي: فهو أن يؤمن بأن الله -تبارك وتعالى- أنزل على

رسله -عليهم الصلاة والسلام- كتبًا يهدون الناس بها إلى الله -تبارك

وتعالى- هذا لا بد منه.

◀ والإيمان التفصيلي: بما سمي منها فيؤمن بأن التوراة من عند الله وأنها

كلامه : ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ

مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 144] هذا موسى -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة

والسلام- وقال في عيسى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة: 46] وقال في داود ﴿ وَآتَيْنَا

دَاوُودَ زُبُورًا ﴿النساء: ١٦٣﴾ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

نَذِيرًا ﴿الفرقان: ١﴾ فهذا هو الإيمان بهذه الكتب التي نص على أسمائها وهكذا

صحف إبراهيم ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

﴿الأعلى: 18، 19﴾ بل هذا قد استدل به بعض أشياخنا وهذه من اللطائف على

التخريج عزو الشيء إلى مصدره التخريج عند المحدثين هو عزو الحديث إلى

مصادره الأصلية التي خرجته بالإسناد من المسانيد والجوامع والموطآت

والمصنفات والسنن والمعاجم والأجزاء والأمالى والمجالس والفوائد ثم

الحكم عليه، فعزوه الى هذه الكتب هذا يسمى التخريج، يعني تخرجه أصله

عند فلان وعند فلان وعند فلان في كتبه فاستدل بعض أشياخنا على التخريج

بهذه الآية وأن من أدلة التخريج ما هو في الكتاب قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي

الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿الأعلى: 18، 19﴾ فعزاه الى هذه

الأصول فمعنى ذلك أن هذا التوحيد، توحيد الله -تبارك وتعالى- دعوة جميع

الرسل وهو موجود عند الأولين كما أنه دعاكم إليه رسولنا -صلى الله عليه

وسلم- فالشاهد الإيمان بهذه الكتب التي أنزلها الله -جل وعز- فصحف

إبراهيم نص الله عليها هنا وكذلك صحف موسى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [١٤٥] سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿[الأعراف: 145، 146] الآيات، فهذه الكتب يجب أن يؤمن المسلم بها إيماناً تفصيلياً بأن الزبور على داود، وأن التوراة على موسى -عليه الصلاة والسلام- وأن الإنجيل على عيسى -عليه الصلاة والسلام- وهكذا.

فالإيمان التفصيلي بما ذكر باسمه، تؤمن به أنه أنزله الله -تبارك وتعالى- على هذا النبي ثم حصل التحريف في هذه الكتب خاصة التوراة، خاصة التوراة فإن اليهود أكثر الناس كذباً لا أحد أكذب منهم ﴿يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: 79] ويكتمون ما فيها من الحق ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ قال الله -جل وعلا- مخاطباً ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١]

عمران: 71]

فالشاهد يؤمن المسلم بهذه الكتب بأن الله أنزلها، ويؤمن بها كما أنزلت
أما بعد التحريف فلا لأننا لا نثق بهؤلاء، ولكن القرآن حفظه الله -جل
وعز-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] فلم يُحفظ كتابٌ كما
حفظ هذا الكتاب.

فالكتب الأولى وكل حفظها إلى أصحابها إلى الأمم الذين بعث فيهم
رسلهم -صلوات الله وسلامه عليهم- فضيعوا وهذه الأمة تكفل الله بحفظ
الكتاب وذلك لأنها آخر الأمم فناسب أن تبقى الدعوة فيهم ويدل على ذلك
قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ
عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ
أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) فهذا الكتاب حفظه الله -جل وعز- ﴿لَا
يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ﴿إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فحفظه الله -جل وعلا- وتعهد
بحفظه، فلذلك لم يطرأ عليه ما طرأ على الكتب السابقة فنقل إلينا نقلا
متواترا، واعتنت به أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- غاية الاعتناء فكتبوا

هذا المصحف من أول يوم كتبه الكتبة بأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجلود واللخاف والعظام والعسيب وجمعه وهو مرتب ترتيباً توقيفياً بأمره -عليه الصلاة والسلام- ثم جاء بعد ذلك في عهد أبي بكر، ثم جاء بعد ذلك في عهد عثمان فكانت الكتابة الخاتمة الجامعة وأقر الأمر على ذلك واعتنى به العلماء وضبطوا رسمه ونقلوه نقلاً متواتراً بالسمع والكتابة، فما لم يحصل فيه التواتر، وما لم يوافق الرسم، وما لم يوافق اللغة يكون قراءة شاذة و أتقنوا ذلك غاية الإتقان -فجزاهم الله خيراً-

فكل ما وافق وجه نحو *** وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناداً هو القرآن *** فهذه الثلاثة الأركان

يقول ابن الجزري -رحمه الله-.

فالشاهد هذا الكتاب المهيمن حفظ بحفظ الله -تبارك وتعالى- له،

ومع الإيمان بهذا، الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن الله - سبحانه وتعالى - أنزلها على رسله - عليهم الصلاة والسلام - فهي منزلة وهي كلام الله - تبارك وتعالى - وأن الله تكلم بها حقيقة، كلامه وأنه تكلم بها حقيقة وأنه أنزلها على أنبيائه ورسله - صلى الله عليه وسلم - منها المسموع من وراء حجاب ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: 144] خاطبه الله - تبارك وتعالى - في الوادي من جانب الشجرة، في الوادي المبارك فكلمه - سبحانه وتعالى - بدون واسطة وكلم أيضاً رسولنا - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسري به بدون واسطة، ومنها ما يأتي به الملك وهو جبريل - عليه الصلاة والسلام - أشرف الملائكة وأفضلهم على الإطلاق وشرفه من شرف وظيفته، فوظيفته الوحي تكفل الله - سبحانه وتعالى - بهذا الوحي وكلف به هذا الأمين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء 195:193] فالشاهد ما كان بواسطة الملك يسمعه من ربه - تبارك وتعالى - ثم ينزل به فيبلغه كما سمعه إلى الرسول المراد قال - جل وعلا - : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ

يُرْسَلُ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴿٥١﴾ [الشورى: 51] فهذه أنواع الوحي، فيؤمن العبد بأن هذه الكتب منزلة من الله، وأنها كلامه وأنه تكلم بها حقيقة منها ما هو مسموع مباشرة، ومنها ما هو بواسطة الملك، ومنها ما كتبه الله -جل وعلا- بيده كالتوراة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح في محاجة آدم وموسى -عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- قال آدم لموسى: ((فَقَالَ لَهُ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ)) فثبت بهذا أن الله كتب التوراة بيده، ومن أنكر ذلك من جهل يُعلم، وإن أصر عليه فإنه يكفر، ويجب على الإمام المسلم استتابته فإن تاب وإلا قتل، لأنه مكذب للقرآن، وهذه المسألة قد تخفى فيحتاج إلى إقامة الدليل فيها على الإنسان في هذا الباب، هذه الكتب أنزلها الله هداية للمؤمنين وإنقاذاً لهم من الضلال المبين، فيجب على المؤمن أن يعتقد هذا الاعتقاد في كتب الله -تبارك وتعالى- المنزلة على أنبيائه ورسله -عليهم الصلاة والسلام- .

[الممتن]

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين
نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ
شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٤٥ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٤٦ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ
وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤٧ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ
أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿المائدة: 44﴾

[الشرح]

وهذا أيضًا من أجزاء الإيمان بالكتب، الإيمان بكل ما فيها من الشرائع،
هذا من الإيمان التفصيلي في الكتب المنزلة أن يؤمن بما فيها من الشرائع على
الأمم التي أنزلت عليهم هذه الكتب، كالتوراة على بني إسرائيل على اليهود،
والإنجيل على النصارى، والزبور كذلك لداود في بني إسرائيل، وصحف
إبراهيم، وهكذا، فيؤمن العبد بما جاء فيها من عند الله وأنه كان واجبًا على
هؤلاء الذين نزلت عليهم هذه الكتب.

[المتمن]

وأن جميعها يصدق بعضها بعضًا لا يكذبه كما قال الله تعالى في الإنجيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [المائدة: 46] وقال في القرآن:

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]

[الشرح]

نعم ويؤمن بأنها لا تتناقض بل بعضها يصدق بعضها وآخرها يؤيد أولها كما سمعتم في هذه الآيات وكما جاء في قوله -تبارك وتعالى- عن عيسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6] فالمتقدم يبشر بالمتأخر، والمتأخر يصدق المتقدم فهذا من الأجزاء التي تدخل في الإيمان التفصيلي بالكتب أن يؤمن بأن بعضها يصدق بعضها لا يكذبه ولا تعارض ولا اختلاف بينها.

[المتمن]

وَأَنْ كُلَّ مَنْ كَذَبَ بِشَيْءٍ مِنْهَا أَوْ أَبَى عَنِ الانْقِيَادِ لَهَا مَعَ تَعَلُّقِ خُطَابِهِ بِهِ
يَكْفُرُ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ
لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾

[الأعراف: 40]

[الشرح]

هذه الآية تضمنت حكمين، الآية هذه تضمنت أمرين أو حكمين :

الأول: حكم من كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ، فَمَنْ كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِنْ
هَذِهِ الْكُتُبِ فَهُوَ كَافِرٌ.

الثاني: عدم الانقياد لها وذلك في قوله مع تعلق خطابه به يعني اليهود
خوطفوا بالتوراة، النصارى خوطفوا بالإنجيل، فهؤلاء لما خوطفوا وأعرضوا
يكفرون فحينئذ ينطبق عليهم الحكم فعندنا الآن مسألتان:

- إنكار بعض هذه الكتب.
- أو عدم الانقياد لما في هذه الكتب من قبل من خوطفوا بها.

﴿وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: 171] تمردوا عن الأخذ بالتوراة فنتق الله الجبل فوق رؤوسهم رفعه كأنه ظلة غمامة فالآن مهددون يأخذون بهذا الكتاب أو ينزل بهم العذاب ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ فمن أبى عن الالتزام بشرع هذا الكتاب الذي أنزله الله على رسوله المبعوث إليه فإنه يعاقب العقوبة البالغة فإن عاد وإلا كفر، يهدد بالعقوبة البليغة فإن عاد وإلا كان كافرا فهذا أيضا من الإيمان التفصيلي المتعلق بهذه الكتب، من كذب بشيء منها كفر ومن استكبر عن الأخذ بشيء مما جاء فيها مع تعلق خطابها به، اليهودي مخاطب في زمانه قبل أن يبعث النبي -صلى الله عليه و سلم- مخاطب بالتوراة، فإذا أعرض عنها و لم يلتزم بها كفر بدلالة ما تقدم معنا ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فذكر التوراة وذكر الإنجيل وذكر القرآن، في هذه الآيات جميعا.

[المتن]

وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق، كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل.

[الشرح]

و هذا أمر آخر أن يؤمن في الإيمان التفصيلي، و هذا في حق طلبة العلم وأهل المعرفة أن يؤمن بأن بعض هذه الكتب ينسخ بعضها.

[المتن]

قال الله تعالى في عيسى -عليه السلام-: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾﴾ [آل عمران : ٤٨ : ٥٠]

[الشرح]

وهذا صريح في أن أشياء بالتوراة نسخت بالإنجيل على يد عيسى -
عليه و على نبينا أفضل الصلاة والسلام - ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ
عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] وأيضا نسخت بهذا القرآن نسخا كليا ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

[المقصد]

وكما نسخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل والقرآن.

[الشرح]

القرآن وقع فيه النسخ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ
مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]

[الممتن]

كما قال تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٥٧] قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿الآية [الأعراف ١٥٦: ١٥٨].

وأن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] **والآيات، وكما قال تعالى:** ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُن مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦] **بعد قوله:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى

الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٦٥﴾ [الأنفال: 65] والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات
مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها.

[الشرح]

وقد خصَّها العلماء -رحمهم الله تعالى- بِكُتُبٍ أَسَمَوْهَا كُتُبُ النَّاسِخِ
وَالْمَنْسُوحِ.

وَالنَّسْخُ رَفْعُ الْحُكْمِ كَانَ أَثْبَتُهُ *** شَرْعًا بِنَصِّ خِطَابٍ بَعْدَ مُنْفَصِلٍ
وَقَدْ يَجِيءُ مُزِيلًا أَوْ إِلَى بَدَلٍ *** يَكُونُ أَغْلَظَ أَوْ أَخَفَّ ذَا الْبَدَلِ
وَاللَّهُ أَثْبَتُهُ حَقًّا وَتُنْكِرُهُ *** يَهُودُ رَدًّا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ

كما قال المصنِّفُ -رحمه الله تعالى- في لاميته العظيمة، لامية المنسوخ
وقد سمعتم شيئاً من التعليق الخفيف عليها في الدورات المتقدمة.

فالشَّاهدُ هَذِهِ الْآيَاتُ فِيهَا نَسْخٌ، وَفِيهَا النَّسْخُ إِلَى بَدَلٍ، وَفِيهَا أَنَّ الْبَدَلَ
مِنَ الْأَغْلَظِ إِلَى الْأَخَفِ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأعراف: 66] هَذَا هُوَ الْحُكْمُ
الْبَاقِي الْمُحْكَمُ، وَالْمَنْسُوخُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأعراف: 65] فَكَانَ الْوَاحِدُ فِي مُقَابِلِ عَشْرَةٍ، فَنُسِخَ هَذَا وَبَقِيَ
الْأَوَّلُ الَّذِي قَدَّمَهُ وَإِنَّمَا قَدَّمَهُ لِلْبَيَانِ، وَإِلَّا هُوَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ وَالنُّسْخِ وَاضِحٌ
فِيهَا فَجَاءَتْ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً وَتَخْفِيفًا مِنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

[المتن]

وَأَنَّهُ لَا يَأْتِي كِتَابٌ بَعْدَهُ ، وَلَا مُغَيِّرٌ وَلَا مُبَدِّلٌ لِّشَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِهِ بَعْدَهُ -
يَعْنِي الْقُرْآنَ نَعَمْ - وَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ الْخُرُوجُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ، وَأَنْ مِنْ
كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ مِنَ الْأُمَمِ الْأُولَى فَقَدْ كَذَّبَ بِكِتَابِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ كَذَّبَ بِمَا أَخْبَرَ
عَنْهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْكُتُبِ فَقَدْ كَذَّبَ بِهِ، وَأَنْ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِ، وَلَمْ يَقْتَفِ أَثَرَهُ
ضَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَصْ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ

لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ

أُولِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣:١﴾ [الأعراف 1:3]

[الشرح]

نعم، قف على هذا.

وهذا واضح في أنَّ هذا القرآن مُهيمِنٌ على ما سبقه من الكتب، وأنه
آخِرُهَا وخَاتَمُهَا، وأن من لم يؤمن به ممن أدركه من هذه الأمم مات كافرًا، لأن
الله - سبحانه وتعالى - قد أخذ العهد عليهم بالإيمان به، وصحَّ في صحيح
مسلم من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ
بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمَةِ - يعني أمة الدعوة - يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ
ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)).

قف على هذا، والله أعلم.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث
الأنبياء على الرابط www.miraath.net وجزاكم الله خيرا.